

الطَّمَانِينَةُ وَالسَّكِينَةُ

٥١٤٤٤/١٢/٢٦ هـ

﴿الْخُطْبَةُ الْأُولَى﴾

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ،
 وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
 مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
 هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
 شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
 وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ ...

فَاتَّقُوا اللَّهَ - **عِبَادَ اللَّهِ** - حَقَّ التَّقْوَى؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ
 أَجْسَادَكُمْ عَلَى النَّارِ لَا تَقْوَى. وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ

الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ شَرَّ الْأُمُورِ
 مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ
 ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَبْدَ يَحْتَاجُ إِلَى الثِّقَةِ وَالطَّمَأِينَةِ،
 وَالرَّاحَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَلَا رَاحَةَ وَلَا سَكِينَةَ إِلَّا بِذِكْرِ
 اللَّهِ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا
 ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ
 زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وَالسَّكِينَةُ هِيَ:
 مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنَ الطَّمَأِينَةِ عِنْدَ تَنْزُلِ الْغَيْبِ،
 وَهِيَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يَسْكُنُ إِلَيْهِ شَاهِدُهُ وَيَطْمَئِنُّ.
 وَقِيلَ: هِيَ زَوَالُ الرَّغْبِ.

وَالسَّكِينَةُ غَيْرُ الطُّمَأْنِينَةِ، فَالطُّمَأْنِينَةُ أَشْمَلُ مِنْ
السَّكِينَةِ، فَالسَّكِينَةُ تَكُونُ حِينًا بَعْدَ حِينٍ،
وَالطُّمَأْنِينَةُ لَا تُفَارِقُ صَاحِبَهَا، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ
الطُّمَأْنِينَةُ مُوجِبُ السَّكِينَةِ وَأَثَرًا مِنْ آثَارِهَا وَكَأَنَّهَا
نَهَايَةُ السَّكِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا- (كُلُّ سَكِينَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ طُمَأْنِينَةٌ إِلَّا فِي

سُورَةِ الْبَقَرَةِ) مدارج السالكين ٥٢٥/٢ وبصائر ذوي التمييز ٣/٢٣٨.

وَالطُّمَأْنِينَةُ لَهَا دَرَجَاتٌ مِنْهَا :

طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ بِذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ وَعِزُّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾.

و منها كذلك : طَمَأْنِينَةُ الرُّوحِ فِي الشَّوْقِ إِلَى
مَا وَعِدَتْ بِهِ بِحَيْثُ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَا وَرَاءَهَا،
وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مُشْتَاقٍ إِلَى مَحْبُوبٍ وَعِدَّ
بِحُصُولِهِ، إِذْ تَحْدُثُ الطَّمَأْنِينَةُ بِسُكُونِ نَفْسِهِ
إِلَى وَعْدِ اللِّقَاءِ وَالْعِلْمِ بِحُصُولِ الْمَوْعُودِ بِهِ. قَالَ
عَبَّاسٌ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ
بِهِ﴾. وَعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قَالَ: (هَذَا الْمُؤْمِنُ اطمأنَّ إِلَى مَا
وَعَدَ اللَّهُ). وَالطَّمَأْنِينَةُ هِيَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ هِدَايَةِ
الْقَلْبِ، وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهَا،
وَعِنْدَ الْمَوْتِ دَلِيلٌ رِضَا اللَّهِ وَعَبَّاسٌ وَبُشْرَى
لِصَاحِبِهَا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: كَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحْمَهُ

اللَّهُ- وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ يَحْتُونُ النَّاسَ عَلَى

قِرَاءَةِ آيَاتِ السَّكِينَةِ، لِمَا لَهَا مِنْ تَأْثِيرٍ عَجِيبٍ

عَلَى اسْتِقْرَارِ وَرَاحَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ وَثَبَاتِهِمْ، فَبِهَا

تَزْدَادُ ثِقَةُ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ، وَيَقِينُهُ بِمَوْعُودِهِ. وَآيَاتُ

السَّكِينَةِ الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا الْعُلَمَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ،

وَفَهَمُوهَا مِنْ تَدَبُّرِهِ وَتَأَمُّلِهِ بَلَغَتْ سِتَّ آيَاتٍ:

الآيَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ

مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

حَيْثُ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ عِلَامَةَ مُلْكِ طَالُوتَ

عَلَيْكُمْ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ التَّابُوتَ الَّذِي أُخِذَ

مِنْكُمْ.. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ أَي: فِيهِ وَقَارٌ وَجَلَالَةٌ،

وَحُلَاصَةُ الْآيَةِ: أَنْ تَعْرِفُوا مِنْ الْآيَاتِ وَالْحِكْمِ مَا تَسْكُنُونَ إِلَيْهِ؛ وَتَطْمَئِنُّ نُفُوسُكُمْ بِهِ.

الآيَةُ الثَّانِيَّةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَبَعْدَ مَا ضَاقَتْ

عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛ وَتَالَبَ عَلَيْهِمُ

الْأَعْدَاءُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْأَمْنَ وَالطَّمَأْنِينَ عَلَى رَسُولِهِ

ﷺ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ.. عِنْدَيْدِ

وَلَى الْمُشْرِكُونَ أَدْبَارَهُمْ، وَانْقَلَبُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ

خَاسِرِينَ.

أَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ: فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ

فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ

هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ❁.

[إِلَّا تَنْصُرُوهُ] فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيَّدُهُ، كَمَا نَصَرَهُ

عِنْدَ الْهَجْرَةِ، لَمَّا هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ،

فَخَرَجَ مِنْهُمْ هَارِبًا بِيَدَيْهِ، بِصُحْبَةِ صَدِيقِهِ

وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فَلَجَأَ إِلَى غَارِ

ثَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَخَافُ أَنْ

يَطَّلَعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَيَخْلُصَ إِلَى الرَّسُولِ صلوات الله عليه

فَيُصِيبُهُ مِنْهُمْ أَدَى، فَجَعَلَ الرَّسُولُ صلوات الله عليه يُسَكِّنُهُ

وَيُثَبِّتُهُ وَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ

ثَالِثُهُمَا؟! . فَأَنْزَلَ اللَّهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ عَلَى

رَسُولِهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ تَرَوْهَا.

وَالْآيَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ

فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

أَنْزَلَ اللَّهُ السُّكُونَ وَالطَّمَأِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ

الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ.. أَنْزَلَ الْوَقَارَ فِي

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ،

وَأَنْقَادُوا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا.. وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ

مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ
 الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى
 الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً
 وَسَلَامًا دَائِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. **أَمَّا بَعْدُ: عِبَادَ
 اللَّهِ:** فَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى أَرْبَعَ آيَاتٍ
 مِنْ آيَاتِ السَّكِينَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَخَامِسُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
 قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.
 يَعْنِي بَيْعَةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِرَسُولِهِ ﷺ
 بِالْحُدَيْبِيَّةِ؛ عَلَى مُنَاجَزَةِ قُرَيْشٍ، وَعَلَى الْأَا يَفِرُّوَا

وَلَا يُؤْلُوهُمُ الْأَذْبَارَ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُمْ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَهَذِهِ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ. لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَا أَجْرَى اللَّهُ وَعَجَّلَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ، وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَامِّ وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ الْخَيْرِ النَّصْرُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ، ثُمَّ فَتْحِ مَكَّةَ، وَمَا بَعْدَهَا وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالآيَةُ السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ وَعَجَّلَ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

بَعْدَمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛
 فَرَحِمَهُمْ بِإِنزَالِهِ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَالْأَمْنَ
 وَالطُّمَأْنِينَةَ؛ بِمَا يُذْهِبُ خَوْفَهُمْ عِنْدَ قِتَالِ
 الْمُشْرِكِينَ..

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ آيَاتِ السَّكِينَةِ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
 بِعِبَادِهِ؛ فَاحْرِصُوا عَلَيْهَا، فَالسَّكِينَةُ مَعْنَمٌ، كَمَا
 قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **(السَّكِينَةُ مَعْنَمٌ وَتَرَكَّهَا مَغْرَمٌ)**
 النهاية لابن الأثير ٢/٣٨٦. وَإِنَّ لِلْسَّكِينَةِ فَوَائِدَ، مِنْهَا:

- أَنَّهَا سِمَةٌ الْعُلَمَاءِ وَصِفَةُ الْأَوْلِيَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهُ بِهِمْ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي زُمْرَتِهِمْ.

- السَّكِينَةُ تُثَبِّتُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَزِيدُهُمْ ثِقَةً

وَإِيمَانًا.

-السَّكِينَةُ تُؤَدِّي إِلَى الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ وَعَجَلُكَ
وَتَمْنَعُ مِنَ الشَّطَطِ وَالْغُلُوبِ.

-السَّكِينَةُ تُثْمِرُ الْحُشُوعَ، وَتَجْلِبُ الطُّمَأْنِينَةَ،
وَتُلْبِسُ صَاحِبَهَا ثَوْبَ الْوَقَارِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: صَلُّوا عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْمَرْحَمَةِ،

الَّذِي جَاءَ بِالسَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةَ لِأُمَّتِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. **فَاللَّهُمَّ** صَلِّ

وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ

والتَّابِعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ

الْأَكْرَمِينَ. **اللَّهُمَّ** أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلِّ

الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ،
اللَّهُمَّ أَيَّدْ بِالْحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ
 الشَّرِيفَيْنِ، وَوَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَوُزَرَءَهُ وَأَعْوَانَهُ لِلْبِرِّ
 وَالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يَا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ، **رَبَّنَا** تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ،
 وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ **رَبَّنَا**
 آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا عَلَيَّ

وَإِنِّي نَعَمَ يَذْكُرْكُمْ،

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.